# آراء حول أصل الأسرة الخامسة والعشرين من حكام مصر القديمة

على أحمد قسم السيد

تولّت حكم مصر فى التاريخ المصرى القديم ثلاثون أسرة ،وانحدر بعض ملوك هذه الأسر من أصول غير مصرية. وكانت هذه ليبية ،أو كوشية أو فارسية. وينحدر ملوك الأسرة الخامسة والعشرين، التى نحن بصدد الحديث عن أصلها ،من أصل كوشى. أى سودانى. وقد تمكنت هذه الأسرة من الاستيلاء على السلطة فى مصر فى عهد تولّى أمرها بعانخى، أو بى كما يعتقد،فى حوالى سنة ٧٣٠ ـ ٧٢٩ قبل الميلاد. وقد استمرّ حكم هذه الأسرة لمصر حتى عام ٦٥٣ قبل الميلاد،وهو التاريخ الذى أقصى فيه الأشوريون ملوك هذه الأسرة عن حكم مصر.

هناك ثلاث نظريات تناولت أصل هذه الأسرة وقد اعتمدت هذه النظريات فى تحديد أصل الأسرة على دراسة المخلّفات الأثرية التى تركها ملوكها كما اعتمدت أيضا على بعض الوقائع التاريخية التى يرجع تاريخها الى عهد هذه الأسرة.

أولى هذه النظريات وأقدمها هى تلك التى يتزعمها ج.هـ. برستد ( J.H. Breasted ) والتى تنسب ملوك هذه الأسرة الى أصل مصرى ينحدر من كهنة الاله آمون فى طيبة.(١)

تقول هذه النظرية أنّه عندما تولّى الملك الليبى شاشانق الأول الحكم فى مصر(٩٥٠ ـ ٩٢٩ ق.م.) اضطرّت طائفة من كهنة الاله آمون فى طيبة الى الفرار جنوبا والالتجاء الى النوبة العليا حيث أقاموا فى منطقة جبل البركل الذى ورد ذكره فى النقوش المصرية القديمة منذ عهد الملك أمينوفيس الثانى (حوالى سنة ١٤٤٧ ق.م.) تحت اسم 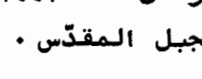 جو وعب . أى الجبل المقدّس .

وفى منتصف القرن التاسع قبل الميلاد ،أى بعد حوالى مائة عام من تاريخ فرارهم من مصر ـ ظهر هؤلاء اللاجئون فى شكل ملوك أقوياء تمكنوا من إقصاء الليبيين من حكم مصر،باعتبارهم دخلاء على مصر، وكوّنوا ما يعرف ـ عند المؤرخ المصرى القديم Manetho ـ بالأسرة الخامسة والعشرين.

تستند هذه النظرية فى تحديد أصل هذه الأسرة على غلبة الطابع المصرى على مخلّفات هؤلاء الملوك وتأثرهم بالثقافة والديانة المصرية ،فتذكر على سبيل المثال أنّ أول ملوك هذه الأسرة- بعانخى ابن كاشتا- يحمل اسما مصريا صرفا وهو مطابق فى نطقه وكتابته لاسم آخر حاكم مصرى فى بلاد كوش فى عهد المملكة المصرية الحديثة وهو بعانخى بن حريحور.(٢) وممّا دعم هذه النظرية أنّ مقابر هؤلاء الملوك لم تكن قد اكتشفت بعد فظنّ علماء التاريخ المصرى القديم أنّ هؤلاء الملوك مدفونون فى مصر شأنهم فى ذلك شأن بقية حكام مصر.(٣)

يعتقد العالمان الفرنسيان أ. دريوتون ( E. Drioton )، و ج. فانديه ( J. Vandier ) أنّه حتى لو كان اسم آخر حكام كوش المصريين مطابقا لاسم أول ملوك الأسرة الخامسة والعشرين فإنّ هذا لا يعنى بالضرورة أنّ هؤلاء الملوك يرجع أصلهم الى كهنة الاله آمون فى طيبة. إلاّ أنّ تطابق الاسمين قاد هذين العالمين للاعتقاد بأنّ كلاً من بعانخى بن حريحور وبعانخى بن كاشتا ينتميان لأصل واحد وهو الأصل المصرى.(٤)

فيما يتعلّق باسم بعانخى بن كاشتا فقد أثبتت الدراسات الحديثة التى أجراها البروفسور جان لوكلان ( Jean Leclant ) بأنّ الاسم 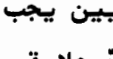 فى سلسلة أسماء الملوك الكوشيين يجب أن يقرأ (بى) ( Py ) وليس (بعانخى) ( Pʿnhy )،حيث أنّ علامة رمز الحياة ( ) والتى تنطق فى اللغة الهيروغليفية (عنخ) قد وضعت فى واسطة هذا الاسم كمجرّد رمز دال على المعنى ( Ideogram ) وليست كعلامة ثلاثية الصوت ( Triliteral Sign ) بمعنى عنخ أى الحياة ( o ) شأنه فى ذلك شأن بعض أسماء الملوك المرويين المعروفين مثل علامة (  ) نفر ( nfr ) أى جميل أو حسن فى اسم الملك ماليناقن وعلامة (  ) سن ( sn ) بمعنى أخ فى اسم الملك ماليويب أمانى.(٦) وبالفعل فقد وجد اسم الملك بعانخى بن كاشتا فى أماكن أخرى وقد كتب بدون العلامة ثلاثية الصوت (  ) عنخ ممّا يدعم رأى البروفسور جان لوكلان ( Jean Leclant )، فعلى سبيل المثال نجد

فى بردية متحف لايدن (Leiden)رقم ( K 128) وبردية الفاتيكان رقم (١٠٥٧٣) ولوحة متحف الأشمولين رقم (١٠٧-١٨٩٤) أنّ الاسم قد كتب 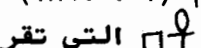 (٧) بى ( Py ) وليس 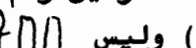 التى تقرأ فى اللغة الهيروغليفية بعنخى ( P'nhy ). وفى نفس الاتجاه يشير البروفسور جان لوكلان ( Jean Leclant ) الى طريقة كتابة اسم المصوّرات الصفراء باللغة الهيروغليفية المروية 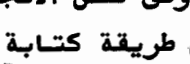 (٨) ( أبير(عنخ) Cf.A.Gardiner, Egyptian Grammar, 3rd. Ed. p. 51. ) أو ( Ipbr ) ( 'nḫ ) ثم يقارنه باللفظ المروى الذى يطلق على نفس الموقع وقد كتب باللغة المروية 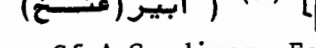 أبو ربء (٩).

أمّا فيما يتعلّق بالنقطة الثانية التى تدعم النظرية القائلة بأنّ أصل هؤلاء الملوك مصرى فقد استبعدت عند اكتشاف مقابر هذه الأسرة فى قرية الكرو بالنوبة العليا. وهى بلاد يعتبرها المصريون منذ عهد المملكة المصرية القديمة بأنّها أجنبية وأطلقوا على سكانها اسم نحسيو،وبالتالى لا يجوز لمصرى ـ حسب المعتقدات الدينية المصرية ـ أن يدفن فيها. وبهذه المناسبة يمكننا أن نشير الى قصة سبنى ( Sabni ) ذلك المصرى الذى لم يشأ أن يدفن جثمان والده فى أرض غير أرض مصر (النوبة). فجهّز حملة واتجه بها جنوبا نحو النوبة حيث دفن والده ـ مؤقتا ـ فنبش قبر والده وحمل رفاته وعاد بها الى مصر حيث دفن من جديد على الطريقة المصرية ،ممّا جعله ينال رضا الملك .(١٠)

وثمّة قصة أخرى مشابهة فى مضمونها لقصة سبنى هذه ألا وهى قصة سنوحى ( Sinuḥe ) التى حدثت فى عهد المملكة المصرية المتوسطة. يقال إنّ سنوحى هذا،وهو أحد أفراد الأسرة المالكة آنذاك قد خرج فى حملة مصرية ضد اللّيبيين فى الصحراء الغربية فى حوالى سنة ١٩٧٠ ق.م. وأثناء تلك الحملة جاءت الأنباء من المقر الملكى لقائد الحملة الأمير سنوسرت تخبره بأنّ الملك أمنمحات قد مات. ولدى سماع سنوحى لهذا النبأ قرّر الهرب من ميدان القتال حتى لا يكون هدفا للأمير سنوسرت الذى ربما يفكر فى القضاء عليه بغية التخلّص منه بحسبه منافسا خطيرا له على العرش. فالتجأ الى الشام

وأقام بها تحت حماية ملكها. ولكن وبمرور الزمن وعندما تقدمت به السن خشى أن تدركه المنية فيموت بأرض أجنبية خلافا للتقاليد الدينية المصرية. فكتب للملك يطلب منه العفو والسماح له بالعودة لمصر حتى تكون له مقبرة على النمط المصرى. فيرد عليه الملك بقوله: "لا ! إنّك لن تموت بأرض أجنبية ... ولن نجعلهم يدفنونك داخل جلد شاة". (١١)

إذن فالدفن خارج أرض مصر لم يكن من عادات الفراعنة المصريين وبالتالى فإنّ ملوك الأسرة الخامسة والعشرين الذين تمّ العثور على قبورهم فى الكرو بالنوبة العليا لم يكونوا مصريين.

من ناحية أخرى يزعم د. دنام ( D. Dunham ) أنّ الدراسات التشريحية التى أجريت على قطع من ثلاث جماجم بشرية ( 19-2-228 , 19-3-392 , 19-3-673 ) والتى عثر عليها فى جبّانة الكرو داخل القبور: Ku.XI, Ku. Tum.2, Ku.Tum.18 ترجح أن يكون أسلاف هذه الأسرة ينضوون تحت ما يسمّى بال Predynastic Egyptian Type وأنّهم لا ينتمون لأصل زنجى من قريب أو بعيد، غير أنّ هذا الافتراض قد تمّ دحضه بأدلّة مكتوبة ومصوّرة - كما سيجىء.

أمّا النظرية الثانية التى تتناول أصل هذه الأسرة فقد تزعمها البروفسور ج.أ. رايزنر ( G.A. Reisner ) والذى نسب أصل هذه الأسرة الى اللّيبيين، (١٣) ويستند فى تدعيم نظريته على دليلين أحدهما تاريخى والآخر أثرى.

فيما يتعلّق بالدليل التاريخى يرى ج.أ. رايزنر( G.A.Reisner ) أنّه فى الوقت الذى كان فيه اللّيبيون الشماليون يتدفقون نحو الدلتا - من جهة الغرب - كان اللّيبيون الجنوبيون يتدفقون نحو النيل. ومن هناك انساحوا جنوبا نحو بلاد كوش حيث أقاموا لهم - فيما بعد - مركز نفوذ بالقرب من نبتة. وأثناء حكم الملك اللّيبى شاشانق الأول لمصر (٩٥٠ - ٩٢٩ ق.م.)، أو ربما فى فترة لاحقة، تمّ تأسيس مقبرة الكرو حيث دفن أول زعيم ليبى جنوبى فى القبر الذى يحمل الرقم: Ku.Tum.1 . (١٤)

أمّا الدليل الأثرى فيستند أساسا على بعض رؤوس السهام التى تعرف باسم النوع الصحراوى ذات الأصل اللّيبى والتى عثر عليها فى

جبّانة الكرو داخل القبور رقم: Ku. Tum.5 ، Ku. XIX ، Ku.Tum.1 و Ku.Tum.2. ويستند الدليل الأثرى كذلك على اللّوح الحجرى الذى يحمل اسم الملكة تابيرى ابنة ألارا وزوجة بعانخى والتى لقبت ـ حسب اعتقاد ج.أ. رايزنر ( G.A. Reisner ) ـ بسيدة التمحو أى اللّيبيين الجنوبيين.

فيما يختص بالنقطة الأولى فى هذه النظرية ـ والتى تمثل الجانب التاريخى منها ـ فإنّ الدراسات الأثرية لم تكشف عن وجود أى نوع من الهجرة الخارجية على بلاد كوش. إذ أنّ النوبة بعد عهد الأسرة العشرين قد انعزلت تماما عن العالم الخارجى ولم تكن لها أى صلات تذكر مع مصر غير تلك الحملة الصغيرة التى قادها الملك اللّيبى شاشانق الأول ضد النوبة وورد ذكر الأخيرة هذه مرّة فى نقوش يرجع تاريخها لعهد الملك شاشانق الثالث (راجع:
J.H. Breasted, Ancient Records of Egypt, Vol. IV,par. 770 )

أمّا فيما يتعلّق بالنقطة الثانية، والتى تتناول الجانب الأثرى يرى و. هولشر ( W. Hölscher ) أنّ وجود روّوس السهام اللّيبية الأصل فى مقابر الأسلاف بالكرو لا يعنى بالضرورة أنّ المدفونين داخل هذه القبور ينحدرون من أصل ليبى خاصة إذا ما وضعنا فى الاعتبار أنّ عدد روّوس السهام ذات الطابع الليبى يقل عددها عن روّوس السهام ذات الطابع النوبى والتى وجدت داخل نفس القبور (٢٥ رأس سهم ليبى مقابل ٣٦ رأس سهم نوبى).(١٥) وقد أيّد هذا الرأى فيما بعد البروفسور ت. سيف سودربيرج ( T. Säve- Söderbergh ).(١٦)

فى اللّوح الحجرى الذى يخص الملكة تابيرى ترجم ج.أ رايزنر ( G.A. Reisner ):ـ

سات الرسات كاسقا
أى:ـ ابنة الارا وابنة كاشتا.(١٧)

وبهذه الترجمة يكون قد نسب لهذه الملكة أبوين دون أم. لكن عبادة ،وفى مثل هذه النقوش ،نجد أنّ صاحب النص يذكر دائما اسم أبيه ثم اسم أمّه ،فمثلا فى نقش الأميرة بك ساجر ( Pek - sa - ṯr) ـ ابنة كاشتا وابنة عم الملكة تابيرى ـ نجدها تذكر صراحة اسم أبيها كاشتا واسم أمّها الملكة بيباتما ( Pebatma ). ليس هذا فحسب بل نجد أنّ بعض الأميرات الكوشيات مِمّن وهبن كزوجات للإله آمون يذكرن أسماء آبائهن ثم أسماء أمّهاتهنّ اللائى تبنينهن. فنجد الأميرة أمنرديس الأولى ( Amenirdis I ) تذكر اسم أبيها كاشتا ثم اسم الأم التى تبنتها وهى الأميرة الليبية شبنوبت الأولى ( Chepenwept I ) ابنة الملك أوسوركون الثالث . كذلك نجد الأميرة الكوشية شبنوبت الثانية ( Chepenwepet II ) ابنة بعانخى تذكر أبيها الملك بعانخى ثم اسم أمّها بالتبنى أمنرديس الثانية (راجع H. Gauthier, Livre des rois d'Egypte, 4, XXV- XXXI dynastie s, p. 10-11, 25-27).

ولتصحيح الخطأ الذى وقع فيه ج.أ رايزنر ( G.A. Reisner ) يكون من الأنسب قبول رأى م. ف . ل. ماك آدم ( M.F.L. Macadam ) الذى يرى أنّ الاسم الثانى هواسم أم هذه الملكة ويقرأ كاسقا وليس كاشتا.(١٨)

فى نظرية ج.أ. رايزنر ( G.A. Reisner ) التى تنسب هذه الأسرة للأصل الليبى يمثل لقب الملكة تابيرى:"عظيمة الليبيين الجنوبيين" ـ حسب اعتقاد صاحب النظرية ـ النقطة الأساسية فى دعم نظريته. إذ أنّه يرى، أنّ هذه الملكة قد ذكرت صراحة بأنّها ليبية الأصل. لكن المشكلة الأساسية تكمن فى الكيفية التى ترجم بها صاحب النظرية كلمة: 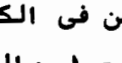 والتى تقرأ ـ حسب رأيه ـ Timhw تمحو وهى تعنى الليبيين الجنوبيين. أو بالأحرى أنّه كان يقصد كلمة 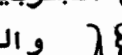 والتى تقرأ Tihnw "تحنو" وهو اسم كان يطلق على جنس من الحاميين الذين كانوا يسكنون الواحات الغربية فى مصر.(١٩)

فى كتابة هذا الاسم باللغة الهيروغليفية نلاحظ أنّ العلامة

قد كتبت فى نهاية الكلمة وبهذا،وحسب قواعد اللغة الهيروغليفية ،تكون مجرّد رمز محدّد للمعنى ( determinative ) وبالتالى ليس لديه مقابل صوتى. لكن فى كلمة  التى نجدها على لوحة الملكة تابيرى نجد أنّ العلامة  قد كتبت فى بداية الكلمة وبالتالى،وعلى عكس العلامة التى كتبت فى آخر كلمة ،تكون لها قيمة صوتية أو مقابل صوتى. وإذا أردنا تحليل الكلمة  المكتوبة على لوحة تابيرى يكون ذلك على النحو التالى:-

(١)  علامة ثلاثية الصوت ( Triliteral Sign ) تنطق خاست ( الألف في كلمة خاست حركة صوتية ضعيفة ).

(٢)  علامة ليس لديها مقابل صوتى لكنها رمز يدل على الأشياء الأجنبية.

(٣)  علامة ثنائية الصوت ( Biliteral Sign )، الجزء الأول منها (ت) عبارة عن الجزء الأخير من العلامة الثلاثية الصوت (خاست) وتسمّى فى قواعد اللغة الهيروغليفية تكملة صوتية ( Phonetio Complement ) وتنطق تى ( ti ).

(٤)  رمز يدل على المعنى أو محدّد له ليس لديه مقابل صوتى

(٥)  ثلاث نقاط توجد عادة فى آخر الكلمة وتفع الاسم المفرد فى صيغة الجمع وذلك بعد إضافة "و" فى آخر الاسم المفرد.

إذن فالكلمة  تنطق خاسيتو (W) ( hȝstyw ) أى سكان البلاد الأجنبية.(٢٠) وعليه فإنّ ترجمة النص :-



تاءات خاستيو

تكون: عظيمة سكان البلاد الأجنبية وليست عظيمة التيبيين الجنوبيين

وتجدر الاشارة هنا الى أنّ أيّا من الشخصيات الملكية الكوشية لم تصبغ على نفسها لقبا يربطها بالليبيين.(٢١)

إنّ تصويب ترجمة هذا النص لم تدحض نظرية الأصل الليبى التى تبنّاها ج.أ. رايزنر ( G.A Reisner ) فحسب ،وإنّما أيضا دحضت نظرية الأصل المصرى التى تبنّاها ج.هـ . برستد ( J. H. Breasted ) من قبل. إذ أنّ الخاستيو ـ كما هو معروف فى النصوص المصرية القديمة ليسو بمصريين. ومن هنا يعتقد أ. دريوتون ( E. Drioton ) وج. فانديه ( J. Vandier ) اللذان دافعا من قبل عن نظرية الأصل المصرى أنّه من المحتمل أن يكون أصل هذه الأسرة نوبى على درجة كبيرة من التمصر.(٢٢) وهذا الاعتقاد يجرّنا للنظرية الثالثة التى تناولت أصل الأسرة الخامسة والعشرين والتى تنسبها للأصل المحلى وهى من أكثر النظريات قبولا لدى علماء المصريات إذ أنّها مدعومة بالأدلة الأثرية والعرقية (بكسر العين) والتاريخية.

إنّ الأدلة الأثرية التى تدعم هذه النظرية يمكن ملاحظتها فى مقابر الأسلاف بالكرو سواء كان ذلك من خلال طريقة بناء هذه المقابر أو من طريقة الدفن التى اتبعت فيها.

بالقرب من جبل البركل تمكن ج.أ. رايزنر (G.A. Reisner ) من التعرّف على قبرين حفرا تحت المعبد المصرى B- 600 (٢٣) الذى بنى فى عهد المملكة المصرية الحديثة ،ومن ناحية فإنّ عهد هذين القبرين يرجع لفترة ما قبل عهد المملكة المصرية الحديثة بحسبهما شيدا تحت هذا المعبد، أى قبل وصول المصريين للمنطقة وبناء المعبد بها. وفى طريقة الدفن التى اتبعت فى هذين القبرين يلاحظ أنّ تصميمهما مطابق ـ لدرجة كبيرة ـ للمقابر النوبية التابعة لحضارة المجموعة ج.(٢٤)

فى مقبرة الكرو نفسها كشفت الحفريات التى أجراها ج.أ. رايزنر ( G.A. Reisner) هناك عن وجود مقابر ذات طابع نوبى بحت مطابق لمقابر حضارة المجموعة ج(٢٥) وقد حفرت هذه القبور فى الناحية الشمالية وفى أعلى نقطة فى الهضبة التى شيّدت عليها الجبّانة (١٤ متر ارتفاع).(٢٦) وضع هذه القبور،وفى هذه النقطة من الهضبة ،يدل على أنّها ربما كانت أقدم من القبر Ku. Tum.1 الذى

يعتبر أول قبر بنى فى هذه الجبّانة والذى يوجد على ارتفاع ١٣ متر، والدفن فى الكرو، وعلى الطريقة المحلّية ،لم يكن قاصرا على هذه القبور وإنّما تعدّاها ليشمل مقابر الأجيال الأولى المدفونة فى هذه المقبرة والتى كانت طريقة البناء والدفن فيها مطابقة لحد كبير لمقابر حضارة المجموعة ج.

فى رأيى إنّ وجود القبرين اللذين شيّدا على النهج النوبى بالقرب من جبل البركل بالاضافة الى مقابر الأسلاف التى بنيت فيما بعد فى الكرو، أنّ هذه الأخيرة لم تكن إلاّ إحياء لطريقة الدفن النوبية التى كانت تمارس من قبل فى حضارة المجموعة ج، وثبت استمرارها باكتشاف قبرى جبل البركل السالفى الذكر.

من الملاحظ أنّ معظم مقابر الأسلاف فى الكرو كشفت عن ظاهرة الدفن على عنقريب وهى عادة جنائزية كانت تمارس من قبل فى حضارة كرمة.(٢٧) وكذلك فى القبور التى يرجع تاريخها للفترة المتأخرة لحضارة المجموعة ج.(٢٨)

فى جبّانة الكرو وفى كل القبور التى يرجع تاريخها للأجيال الأبجدية ( A - E ) نجد أنّ الحفرة قد قطعت فى اتجاه شمال ـ جنوب ، وبما أنّ عرض الحفرة بتراوح دائما بين ١١٠ سم و١٥٠ سم فإنّ جسم الميت لا يمكن وضعه إلاّ فى اتجاه شمال ـ جنوب خاصة إذا وضعنا فى الاعتبار أنّ الميت يكون دائما مسجّى على عنقريب ـ وهذا وضع غير مطابق للممارسات الجنائزية المصرية حيث يوضع الميت فى اتجاه شرق ـ غرب.(٢٩) وفى واقع الأمر إنّ اتجاه الحفرة لم يأخذ الاتجاه شرق ـ غرب إلاّ فى عهد كاشتا وربما كان ذلك لتسرّب الأثر الثقافى المصرى لبلاد كوش عقب غزو كاشتا لمصر العليا.

وتأثر هذا الملك الكوشى بالثقافة المصرية لم يقتصر على طريقة قطع حفرة قبره فحسب وإنّما تعدّاها ليشمل بعض مخلّفاته الأثرية والتى كانت تغلب عليها الصبغة المصرية. فقد عثر ج. ماسبيرو ( G. Maspero ) فى منطقة الفنتين على جزء من لوحة حجرية تخص هذا الملك ( Cairo J.E 41013 ) وقد زيّن الجزء الأعلى منها بقرص الشمس الذى يتدلّى عن شماله رأس ثعبان الكوبرا ( Uraeus ) الذى رسم عن شماله جناح نسر مفرود وعن يمينه عين الاله حورس الأسطورية

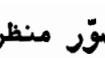

. أسفل من هذا كان قد صوّر منظر يمثل الاله خنـــوم ـ رع، سيد منطقة الشلال الأول،والآلهة باستت ،سيدة منطقة الفنتيـــن.(٣٠) هناك أيضا قطعة أثرية تظهر الملك كاشتا كفرعون مصرى وهى عبـــارة عن تميمة معدنية صمّمت على الطريقة المصرية وتحمل اسم الملك وقـد كتب باللغة الهيروغليفية.(٣١)

هذه التقاليد المصرية البحتة التى اتبعها هذا الملك فـــى صنع آثاره ومخلّفاته الجنائزية امتدّ أثرها ،بطبيعة الحال، الـــى طريقة بناء قبره والذى كان الأول فى جبّانة الكرو،وقد بنى فى اتجاه شرق ـ غرب . فى الواقع ،وابتداء من عهد كاشتا، لنا أن نقـــول إنّ الدفن فى المقابر الملكية على الطريقة النوبية قد اختفى تمامـــا حتى نهاية المملكة المروية فى حوالى سنة ٣٥٠م.

النقطة الثانية التى تدعم نظرية الأصل النوبى لملوك الأســرة الخامسة والعشرين ترتكز أساسا على الصور والتماثيل التى خلّفهـــا هؤلاء الملوك والتى تظهر فيها السمات الافريقية بصورة واضحـــة فاتخذها دارسو التاريخ المصرى القديم كدليل على أنّ هذه الأســرة تنحدر من أصل افريقى أى نوبى.

إنّ أقدم هذه التصاوير هى تلك التى خلّفها كاشتا والتى وجدت على اللوح الحجرى ( Cairo J.E 41013 ) سالف الذكر.

على هذا اللوح الحجرى لم يبق من المنظر الذى يصوّر كاشتـــا غير الرأس وهذا هو المهم فى دراستنا للناحية العرقية. فنجـد أنّ النحّات قد صوّر هذا الملك بأنف أفطس وحنك صغير راجع الى الـــوراء وشفتين غليظتين وهذه خصائص عرقية لا نجدها عند المصريين ولا عنـــد الليبيين،بل هى سمات نجدها عند من يجرى فى عروقه دم زنجـــى. أثارت هذه النقطة اهتمام العالم الفرنسى جان لوكـــــلان ( Jean Leclant ) فقام بإجراء دراسة مفصّلة على التماثيل والتصاوير التى تخص ملوك هذه الأسرة لتأكيد أصلهم الافريقى فنجد أنّ التماثيل الخاصة بالملك شباكا(٣٣) قد أظهرته فى تقاطيع افريقية واضحـــة: "وجنات ضخمة بارزة ،فم ضخم وحنك صغير."(٣٤) كذلك نجد أنّ نفس الملك قد صوّر فى منظر قطع على جدران مقصورة أوزيريس حقاجـــــت ( Osiris Heqaḍjet ) بالكرنك وقد غلبت على وجهه الســمـــــات

الزنجية.(٣٥)

أمّا التصاوير والتماثيل التى خلّفها تهارقا ـ وهى كثيرة نسبيا ـ فنجد أنّ الملك قد صوّر فيها برأس مستدير وأنف أهبر ـ أى كثير اللحم ـ وفم واسع وشفتين غليظتين.(٣٦)

نفس هذا الوصف ينطبق على الأمير الكوشى الذى ربما كان أوشانخورو بن تهارقا والذى صوّر على لوحة زنجرلى الآشرية التى وضعها الملك الآشورى أسارهادون فى سوريا عقب استيلائه على مصر بعد طرد الكوشيين منها.(٣٧)وهناك قطعة من بردية بروكلين ( Brooklyn 47-218- 3 ) عليها منظر يجمع بين الأمير الكوشى حورماخيس وبعض من أتباعه المصريين حيث يظهر الأمير حورماخيس فى لون أقرب الى لون "الشيكولاتة" بينما يظهر المصريون فى لون أقرب الى اللون البرتقالى الخفيف.

فى مقبرة الكرو وعلى جدران قبرى الملك تانوت أمانى ( Ku.16 ) وأمّه الملكة كلهاتا ( Ku.5 )،نجد أنّ كلاً منهما قد أعطى لونا بنيا غامقا على عكس الرسومات التى تظهر الملوك المصريين فى لون بنى خفيف.

وفى واقع الأمر إنّ كل التصاوير والتماثيل التى تمثل الملوك الكوشيين ـ ماعدا تمثالين صغيرين هما: ( Munich AS 4859 ) و( Louvre AF 6639 ) اللذين على النقيض من بقية التماثيل الأخرى قد تمّ نحتهما على النهج المصرى(٣٨) ـ نجدها دائما تبرز السمات الزنجية جلية واضحة.(٣٩)

أمّا من ناحية الزينة والمظهر فنجد أنّ الملوك الكوشيين كانوا مميزين عن الملوك المصريين والليبيين الذين حكموا مصر. إذ أنّهم كانوا دائما يلبسون نوعا خاصا من الطواقى نصف كروية الشكل عليها وصلة أو شريط من قماش يتدلّى بجانب الصدغين،وعلى هذه الطاقية أيضا وصلة من قماش سميك نسبيا لتثبيت الطاقية على الرأس حتى لا تسقط فينكشف رأس الملك لأنّه ليس من التقاليد الملكية أن، يظهر الملك وهو حاسر الرأس حتى أمام أقرب الأقربين.(٤٠)وهذه الطاقية تعتبر رمز الملكية ( Kingship ) فى مملكة نبتة.

لكن من أهم مظاهر الزينة التى تميّز الملوك الكوشيين عن

غيرهم من الملوك هو وجود ثعبانى الكوبرا ( The Two Uraei ) اللذين ينتصبان ـ جنبا لجنب ـ على مقدمة رأس الملك بعد أن لف كل منهما جسمه فوق هامة الملك تاركا الذنب متدليا خلف الرقبة. وتجدر الاشارة هنا الى أنّ وجود هذين الثعبانين لا يرتبط بلبس الملك الكوشى لهذا النوع من الطاقية السالفة الذكر وإنّما حتى لو كان الملك يلبس التاج المصرى المزدوج ( Combined Crown ) ـ الأبيض الذى يمثل مصر العليا والأحمر الذى يمثل مصر السفلى.(٤١) وإنّ وجود ثعبانى الكوبرا على جبهة الملك الكوشى يعنى، على ما يبدو، الاتحاد بين مصر وبلاد كوش.(٤٢) فرأس الثعبان الذى فى المقدمة ـ أى الأكثر بروزا ـ كان يمثل التاج الأبيض، أى بلاد كوش، وذلك الذى الى الوراء قليلا كان يمثل التاج الأحمر أى مصر.(٤٣) لذلك نجد أنّه عندما تولّى الملك بساماتيك الثانى حكم مصر عمل على إزالة الكوبرا الذى عليه التاج الأبيض من كلّ تصاوير الملوك الكوشيين فى معبد الكرنك كما محا أسماء هؤلاء الملوك التى كانت قد كتبت داخل "الخراطيش" الملكية على جدران المعابد حتى لا تبقى داخل مصر أى اشارة تدل على حكم الكوشيين لها.(٤٤)

أثبتت الدراسات التاريخية أنّ انتقال الحكم فى مملكة كوش كان دائما من الأخ الأكبر الى أخيه الأصغر، أو من الحاكم الى ابن أخته، أو من الملك الى أكبر وأقوى أفراد العائلة المالكة وهو نظام يختلف عن ذلك الذى نجده عند حكام مصر حيث ينتقل التاج من الأب الى الابن وهو ما يعرف بنظام:

" Patrilineal S ystem of Succession"

أى نظام الوراثة عن طريق الأب مباشرة.

وهناك دليل آخر على أصل هذه الأسرة وهو أنّه وعلى الرغم من درجة التمصّر الشديدة التى بلغها حكام هذه الأسرة لدرجة أنّهم أصبغوا على أنفسهم ألقابا مصرية صرفة بجانب اتخاذ الاسم الأول ( Prenomen ) على النهج المصرى، نجدهم قد احتفظوا بالاسم الثانى ( nomen )، وهو الاسم الحقيقى للملك قبل تولّيه الحكم، نوبيا صرفا.

إذن، وعلى ضوء هذه البراهين، يتضح لنا أنّ أصل هذه الأسرة لم يكن مصريا ولا ليبيا كما زعم بعض علماء التاريخ المصرى القديم

وإنّما كان نوبيا تشرّب بالثقافة المصرية وذلك لاعتناق ملوك هذه الأسرة، ابتداء من كاشتا، للديانة المصرية القديمة التى انعكست آثارها على مخلّفاتهم الأثرية.

أثبتت الحفريات التى أجراها ج.أ. رايزنر (G.A. Reisner) فى جبّانة الكرو أنّ بعضا من القبور (Ku. 15, Ku. XIV, Ku.18, Ku.17) ومعظم قبور الملكات كان يحوى دفنا على عنقريب، وهى عادة نوبية قديمة، واستنادا على هذا فقد ظنّ بعض علماء التاريخ المصرى القديم أنّ هؤلاء الملوك ربما كانوا حفداء ملوك مملكة كرمة.(٤٧) لكننا ومن ناحية أخرى، نجد أنّ البروفسور و.ى. آدمز (W.Y.Adams) فى (JEA, 50,1964: 107-8) قد حاول نسب ملوك مملكة نبتة الى مهاجرى حضارة المجموعة ج. فيقول: "إنّ أهالى حضارة المجموعة ج على أى حال، أناس افريقيون يرتبطون بجيرانهم فى الجنوب برابطة العنصر والتقاليد. وهم يلجأون فى أوقات الشدة الى منطقة دنقلا الأكثر خصوبة وأكثر حماية". يقدّم و.ى آدمز نظريته هذه دون أن يسندها بأى دليل أثرى، بحجة أنّه لا يوجد، وإنّما يعتمد فقط على احتمالات ترتكز على الواقع الجغرافى للمنطقة، ومع ذلك نجده فى موضع آخر (Nubia Corridor to Africa, 1977, p. 257) عند تعرّضه لمسألة أصل الأسرة الخامسة والعشرين، يحاول أن يربط المدفونين داخل مقابر الأسلاف بالكرو بحضارة كرمة متخذا التشابه فى نوع القبور فى كلّ من كرمة والكرو كدليل أثرى على ذلك فيقول عن مقابر الأسلاف بالكرو: إنّها عبارة عن كومة ترابية دائرية الشكل (Round Tumulus) وأنّ الدفن فيها على عنقريب ـ وهما ممارستان ارتبطتا على وجه الخصوص بمملكة كرمة النوبية العظيمة".

وفى هذا إشارة غير مباشرة الى أنّ المدفونين الأوائل بجبّانة الكرو لهم علاقة، بصورة أو بأخرى، بمملكة كرمة. لكن هذه النظرية يمكن استبعادها إذا وضعنا فى الاعتبار أنّ عادة الدفن على عنقريب واستعمال الشكل الدائرى كمظهر خارجى للقبر لم يكونا قاصرين على أهالى حضارة كرمة فقد مارسها أيضا أهالى المجموعة ج، فقد أثبتت الحفريات التى أجريت على بعض مقابر المجموعة ج فى النوبة السفلى أنّ بعضا من هذه القبور، والتى يرجع تاريخها لآخر سنى هذه الحضارة،

كان يحوى دفنا على عنقريب (أنظر عاليه صفحة ١٠٣ )،هذا بالاضافة الى أنّ شكل وتصميم مقابر الأسلاف بالكرو يشبه ،والى حد كبير،مقابر حضارة المجموعة ج. ومن ناحية أخرى يجب ألا ننسى أنّ من أهم خصائص حضارة كرمة دفن الضحايا الآدمية مع الملك الميت وهذا مالم يتعرّض له البروفسور آدمز عندما حاول ربط المدفونين بالكرو بأهالى حضارة كرمة ـ وهى عادة جنائزية لم تكشف الدراسات التى أجريت على مقابر الكرو ونورى والبركل عن ممارسة الكوشيين لها.(٤٨)

ومن ناحية أخرى فإنّ الدراسات الأثرية التى أجريت فى منطقة حضارة كرمة لم تدل على وجود أى نوع من الهجرة أو تناقض ملحوظ فى عدد السكان،كما هو الحال فى حضارة المجموعة ج التى هجرت وطنها فى نهاية عهد الأسرة العشرين والتى من الراجح جدا أنّها اتجهت جنوبا ـ ربما حتى منطقة جبل البركل ـ مستغلّة الفراغ السياسى الذى خيّم على المنطقة عقب انسحاب المصريين منها ،وحيث الظروف المناخية والطبيعية أنسب بكثير ممّا هى عليه فى وطنهم فاستقرّوا فى هذه المنطقة واختلطوا بالسكان المحليين مكوّنين بذلك النواة للحضارة التى عرفت فيما بعد بحضارة نبتة.

وأخيرا وعند معالجة مسألة أصل الأسرة الخامسة والعشرين يجب ألا نغض الطرف عن الظروف السياسية العالمية وما صاحبها من نظريات فلسفية تحكمت ،وبدرجة كبيرة ،فى عقليات علماء ذلك العصر. وفى هذا الصدد يعتقد البروفسور و.ى آدمز(٤٩) ( W.Y. Adams) أنّ العنصرية هى التى قادت ج.أ. رايزنر ( G.A. Reisner) وكثيرين من زملائه للاعتقاد بأنّ أزهى فترات التاريخ الثقافى السودانى لا تعزى للأثر الثقافى المصرى فحسب ،وإنّما لحدوث هجرة مصرية أو (ليبية) حقيقية لبلاد النوبة. أمّا فترات الانحطاط الثقافى فتعزى الى رحيل المصريين عن بلاد النوبة أو الى حدوث هجرات قادمة من الجنوب.

إنّ هذه النظرة العنصرية نجدها كامنة فى عقلية البروفسور ج.أ. رايزنر ( G. A. Reisner) منذ بداية مسحه الأثرى الأول لبلاد النوبة (١٩٠٧ ـ ١٩٠٨). فعندما قام بدراساته للمواقع الأثرية هناك ونسبة للفقر والبساطة اللذين كانا يميزان حضارات هذه

المنطقة (المجموعات أ، ب ، وج)، فقد نسب هذه الحضارات الى أصل نوبى أى محلى. لكنه عندما قام بإجراء دراساته على حضارة كرمة (١٩١٣ - ١٩١٥) والتى كانت أكثر رقيا من حضارات النوبة السفلى فقد نسبها للمصريين على الرغم من السمات المحلية الواضحة فيها.

إنّ مثل هذه الأفكار التى نجدها سائدة عند معظم علماء المصريات الذين عاصروا فترة الاستعمار الأوربى والتى كان مردّها للنعرة العنصرية المتحكمة فى عقلية الكثيرين منهم قد جعلتهم يعتقدون أنّه ليس فى مقدور السكان المحلّيين فى بلاد النوبة خاصة وافريقيا عامّة إحراز أى إنجاز حضارى.

## الهوامش

### اختصارات

| | |
|---|---|
| ARE : | Ancient Records of Egypt. |
| ASAE: | Annales du Service des Antiquités de l'Egypte |
| ASN : | The Archaeological Survey of Nubia |
| BIFAW: | Bulletin de l'Institut Français d'Archéologie Orientale |
| Dict. Géog: | Dictionnaire des noms géographiques continus dans les textes hiéroglyphiques |
| HAS : | Harvard African Studies |
| JEA : | Journal of Egyptian Archaeology |
| KU : | Kurru (locality) |
| Ku. Tum: | Kurru Tumulus (type of grave) |
| RCK : | The Royal Cemeteries of Kush |
| RDE : | Revue d'Egyptologie |
| REM : | Répertoire d'Epigraphie Méroitique |
| SNR : | Sudan Notes and Records |
| ZAS : | Zeitschrift für Agyptische Sprache und Altertumskunde |

(1) J.H. Breasted, A History of Egypt (London,1948), p.583.

(2) D.M. Dixon, "The Origin of the Kingdom of Kush",JEA, 50, (1984): p.128.

(3) G.A. Reisner, "Discovery of the tombs of the Egyptian XXVth Dynasty at El Kurru in Dongola Province", SNR, 11 (1919): p.238.

(4) E.Drioton & J. Vandier, L'Egypte,(Paris, 1962)p.558

(5) J. Lectant, Orientalistische Literatur zeitung : 61 (1966), col.552; Histoire Générale de l'Afrique, 11, (Paris Unesco ,1980), p. 296.

(6) D. Dunham, RCK, 11, (Boston,1955), Fig.151,18-4-134; M.F.Laming Macadam, The Temples of Kawa, 1, (London, 1949), p. 89. pl.35; D. Dunham and M.F. Laming Macadam, "Names and Relationships of the Royal Family of Napata", JEA, 35. (1949) pl. Xvl, 40, 44.

(7) R.A. Parker, "King Py, a Historical Problem", ZAS,93 (1966): 111-114; Jac. J. Janssen, " The Smaller Dakhla Stela", JEA, 54 (1988): 172; K.H. Priese, "Nichtagyptische Namen und Worter in den Agyptischen Inschriften der Konige von Kush" Mitteilungen des Instituts fur Orientforschung Deutsche,14 (1988): 166-175.

(8) Fr. Hintze, Die Inschriften des Lowentempels Von Musawwarat es Sufra (Berlin, 1962), pp. 25,27,31-32, pls. 70-71.

(9) J. Leclant, Orientalistische, Cols. 551-552; "Recherches sur la toponymie méroitique", La Toponymie antique (Strasbourg, 1975), pp. 160-161.

(10) J.H. Breasted, ARE, 1, (Chicago 1966), Paras, 362-374.

(11) G.L. Lefebvre, Romans et contes égyptiens de l' epoque pharaonique (Paris, 1948), p. 17

(12) D. Dunham, RCK, 1 (Cambridge "Mass",1950),pp.118-119.

(13) G.A. Reisner, "The Outline of the Ancient History of Sudan,", SNR, 11 (1919), p. 43.

(14) Reisner, "Discovery", p. 247.

(15) W. Holscher, Libyer und Agypter (Gluckstadt,1937), p. 68.

(16) T. Säve- Söderbergh, Bibliothica Orientalis, X111, (Leyden, 1956), p. 123.

(17) G.A. Reisner, "Discovery", p. 247.

(18) Macadam, Temples, Text, pp. 73-76, 90,127.

(19) H. Gauthier, Dictionnaire des noms géographiques contenus dans les textes hiéroglyphiques, (Cairo, 1925), pp. 39,45,67,80-81.

(20) A. Erman & H. Grapow, Wörterbuch der aegyptischen Sprache, 111, (Leipzig 1926-1931) p. 235; Gauthier, Dictionnaire, 1V, p. 160.

(21) Dixon "The origin, p. 126.

(22) Drioton and Vandier, L'Egypte,p. 675.

(23) G.A. Reisner, "The Barkal Temples in 1916", JEA, 5 (1918): 100.

(24) ibid.

(25) D. Dunham, RCK,1, pl. XXV11, D.E.

(26) Dunham ibid., Map 11.

(27) G.A. Reisner, HAS, V, p. 65 ff; "Excavations at Kerma (Dongola Province) 1" ZAS, 52, (Berlin,1915), pp.34-49.

(28) C.M.Firth, ASN, 1909-1910,(Cairo,1915), plan 3, tombs 113,116.135,219,229; W.Y. Adams, Nubia Corridor to Africa, (London,1977), Fig. 22.

(29) A.J. Arkell, A History of the Sudan, (London),1961, p.119; D.M. Dixon," The Origin", p.129.

(30) G. Maspero, "Notes de Voyage", ASAE, X, (Cairo,1919) pp. 9-10.

(31) J. Leclant, "Kashta, Pharaon en Egypte,"ZAS, 90, (Berlin,1963), pp.74-81, Figs. 2-5

(32) Maspero, "Notes", p.10.

(33) قبل شباكا نجد أنّ بعانخى قد ترك قليلا جدا من الصور والتماثيل التى تمثله ، وحتى على هذا القليل نجد أنّ صورة الملك قد أزيلت تماما ،ولم يبق منها أثر يوضح تقاسيم وجه هذا الملك .

(34) J. Leclant, "Kouchites et Méroites l'iconographie des souverains africains du Haut-Nil antique" L'image du Noir dans l'art occidental, 1: Dès Pharaons a la chute de l' Empir romain, Fribourg, 1976, p. 92, Figs 68-134.

(35) ibid., pl. 38.

(36) ibid., p. 98.

(37) H. Schafer, "Die aethiopische Konigsinschrift des Louvre", ZAS,XXXIII, 1895, pl. VII-4; J.H. Breasted, A History of Egypt, pl.181; Macadam, Temples,

(38) St. Wenig, Africa in Antiquity, 11 (New york, 1978), p. 63, note 10.

(39) Leclant, "Kouchites", p.92 ff; Wenig, Africa, p.166 ff,

(40) J. Leclant, Recherches sur les monuments thèbains de la XXVe dynastie dite éthiopienne, BIBLIOTHEQUE d'ETUDES, tome XXXV1, IFAO, (Cairo,1965), pp. 223-224; P. Montet, La Vie Quotidienne en Egypte au Temps des Ramses, (Paris,1946), p.194

(41) Leclant, "Recherches", p 324.

(42) ibid., p.325.

(43) J. Leclant, BIFAO, XLIX, (Cairo-1950), pp.188-189, Figs, 3-4, note 3.

(44) J. Yoyotte, "Le martelage des noms royaux éthiopiens par Psammetique,11" RdE,8 (Paris 1951), p.216.

(45) D. Dunham and Macadam, "Names",

(46) ibid., pls. XV-XV1.

(47) D.Dunham, "Outline of the ancient history of the Sudan", SNR, XXV111, p.3; J. Vercoutter, "Ancient Egyptian Influence in the Sudan", SNR, 40,1959, p.14; Arkell, A History, pp.119-120; Dixon, "The Origin", p.129; Leclant, Histoire Générale de l'Afrique, p.296.

(48) كشفت الحفريات التى أجريت على مقابر البجراوية عن وجود ما يعتقد بأنّه ضحية آدمية ولمرّة واحدة فقط فى احدى القبور التى يرجع تاريخها للفترة المروية.

(49) W.Y. Adams, "Paradigms in Sudan Archaeology", Africa Today, 28,2, Colorado, 1981, P. 20.